

## عند الهبوب روح أئختها شوكة

التقدم

العدد 15 - الإثنين 5 ربيع الأول عام 1361 الموافق 23 مارس سنة 1942

الحسين الشقاوي

اصطفت سيقان، وتكاثفت مناكب، وتداخلت هياكل، وامتدت أعناق في وقفة الخشية مودعة روعة روح أئختها شوكة، فتعالت إلى مصحة العلاء تطلب أنجع بلسم لروحها فما لهذه الشفاه تردد غنات مزعجة؛ أأبهمتها العاصفة إذ خالط الأثير غبار الهوجاء؟ ما لهذه القلوب تن خافقة بعزيف حائر، أأزعجتها الأشباح الشلاء وأهلعتها أنامل الفناء التي وقعت على « البيان »؟ قد يكون بالأسماع وقر وقد يكون بالأذان صم، ولكنها تنفتح لأول نبرة من نبرات العدم، وتتصدع لأول صدمة من صدمات القضاء، فلتذرف يا عين ما شئت من دموع، ولتخفق يا فؤاد بما شئت من أهارج، فالهداة الصمامة والسكتة العميقة ووحشة الفناء لن تحول بين المشيئة.

فنحن لا شيء أمام الكون الموحد العظيم  
ونحن لا شيء أمام الأرض والشمس  
ونحن لا شيء أمام الخضعات والجبال  
ونحن لا شيء أمام الظلمات والنور  
ونحن لا شيء أمام الزوبعة والسيول  
ونحن لا شيء لأننا دائرة الوجود المفكرة

ونحن كل شيء لأننا جزء الحياة الرقيق الحساس  
ونحن كل شيء لأننا ريشة المصور المبدع  
ونحن كل شيء لأننا أدق حاكمي سجل للعاصفة التهويلية، وللزوبعة الدمدمية، وللفاجعة  
اللفحات، تبلغ آذاننا انات النفوس المتقطعة، وتقاطيع المهج المنكودة فنسكبها صمته  
للجبل، وحفيفا للغابة، وخريرا للنهر، وتكسرات أمواج للخضم المديد، نسمع العويل  
والصرخات فنلقها في الهياكل ألحانا مصفاة من كل ألم، نرى الفزع والهلع فرسمه للملأ  
أهول رسم تشاهده في البسيطة مقلة، نرى الحيرة والخزع فنصور للرزية أروع صورة  
تستشعر الموت والاضمحلال فننظم لذوي الآنين أنجع ملحمة قدت من مأساة الحياة.

إيه سعيد! توسدت بآخر وسادة يركن إليها الرأس المصدوع

إيه سعيد! ارتديت آخر حلة تشتاها النفس الآن

إيه سعيد! أطرحت على آخر فراش تأوي إليه الذات المتعبة

ظللت تسعى وبين يديك قدح الاستجداء ليدخر للطالب أكمل زاد يمكنه من متابعة  
السرى دون عياء وكلل، ولكنك عدت ولما يلقي إليك أحد بحسنة<sup>1</sup>

ظللت تعمل لتلقيح دوات من نزعات العمى النفسي الأليم فانطلقت منك أول صيحة في  
أول « مغرب » وأردفتها بأعلى من صرخة في « ملحق » حافل واسترسلت في تمديد  
الخيوط وتسديد هالة « الأسرة » بأجمل فكرة في فكر « الثقافة » .

إيه سعيد! يا ابن الأمس، يا شباح الآن، ويا رمز القابل، سوف تتحلل العقول والمدارك  
عندما تعمل على حمل رسالتك لأبعد شوط تتطلبه.

يا حقيقة البارحة، يا حلم الحاضر، ويا ذكرى القادم!

---

<sup>1</sup> كان رحمه الله يسعى ليؤلف في أنحاء المغرب صندوقا لمساعدة الطالب.

سوف يدري الذين بهم ضعف وانحلال أنك ما عشت إلا لتمطيط سلك وتوسيع دائرة،  
والتنقيب إثر مشعل ينير للقافلة السبيل. فلبثت تعمل لنشر البلاغ أتم نشرة، وإذاعة  
النشرة أوفى ذيوع من نقطة ابتداء الصحراء إلى تمام دائرة المحيط المغربي.  
إيه سعيد! ليست سلا هذه الرقعة الضيقة وليس المغرب هذا الوطن الصغير وليست بلاد  
العروبة هذه الأقطار المحدودة الآفاق والمسافة هي التي تبكيك وتندبك الآن للوجود،  
وإنما هي الأفتدة المتقدة المتهبة الحاملة لمعنى اللانهاية في اللوعة والألم، وإنما هي القلوب  
المحطمة المهشمة العاجزة عن حل لغز قوة الحياة والكمال هي التي تبكيك وهي التي تقيم  
لك بين حناياها أروع مآتم أبدعته الإرادة المفجوعة.  
عشت لواجب وامت عن واجب فلتباركك ملائك الرحمان.